أثر المعرفة التدبرية في تفسير القرآن الكريم

(كتاب تفسير الميزان انموذجاً)

الباحثة

هدى هيثم شاكر

huda husaam1994@gmail.com

الأستاذ الدكتور

كريم شاتي السراجي

جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

the effect of forethought knowledge of Al_Sayyed Al_Tabatabaei in his interpretation Al_Mizan

Researcher

Huda Haitham Shaker

Prof. Dr.

Kareem Shati Al- Siraji

university of kufa - faculty of Jurisprudence

الملخص:-

يهدف هذا البحث إلى بيان معنى المعرفة التدبرية وتسليط الضوء على أهمية التدبر وضرورته عند فهم النص القرآني مع بيان اثر هذه المعرفة لدى المفسر وانعكاسها على النص عند تفسيره وقد اخترت كتاب تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي نموذجاً لذلك، حيث تناول البحث نبذة مختصرة حول المفسر الكبير سماحة العلامة آية الله الحاج السيد محمد حسين الطباطبائي ﵀، وتسليط الضوء على كتابه (الميزان) من خلال استقراء الآيات التي تدبر فيها سواء كانت آيات تخص العقائد أو متمثلة بالقصص القرآني أو مبينه لفضائل أهل البيت ﵈ وغيرها.

وكان منهج البحث للطالب في دراسته هو المنهج التاريخي والتحليلي.

فانتظم البحث بتمهيد اشتمل تمهيد وثلاثة مطالب، تناول التمهيد: التعريف بمفردات العنوان وبيان ضرورة التدبر واهميته وبيان العلاقة بين التدبر والتفسير، وتناول المطلب الأول: نبذه مختصره عن حياة السيد الطباطبائي ﵀، والمطلب الثاني تضمن القيمة العلمية لتفسيره (الميزان) والمطلب الثالث: نماذج تدبرية للعلامة في تفسيره.

الكلمات المفتاحية: المعرفة، التدبر، التفسير، السيد الطباطبائي، الميزان.

Abstract:-

This research aims to explain the meaning of forethought knowledge and highlight the importance of forethought and its necessity when understanding the Quranic text with a statement of the effect of this knowledge on the interpreter and its reflection on the text when interpreting it And I have chosen the book (Tafsir Al-Mizan) by Allama Tabatabaei as a sampel for this, where the research dealt with abrief overview about the great interpreter, his Eminence, Ayat ollah Al-Hajj Al-Sayyed Mohammad Hussein Al-Tabatabaei (God bess his soul) and shed light on his book (Al-Mizan) by exrapolating the Verses in Which he contemplates whether they are Verses related to beliefs, or represented by Quranic stories or indicating the virtues of Ahl al-Bayt (peace be upon them), and others.

The research methodology for the student in his studv was the historical and analytical approach..

The research was organized with apreamble, Which included apreamble and three demands. The preamble delth with:

Introducing the vocabulary of the title and explaining the necessity and importance of forethought and clarifying the relation ship between forethought and interpretation. The first requirement dealt with abrief Summary of the life of Al-Tabatabaei (God bless his soul).

The second requirement included: the scientific Value of his interpretation (Al-Mizan) and the third requirement included: forethought models for interpreter in his interpretion.

Keywords: knowledge forethought, interpretation, Al-sayyed Al-Tabatabaei, Al- Mizan.

المقدمة:ـ

إن تدبر كتاب الله العزيز له أشرف العلوم وأفضلها فلا تكتفي القراءة للنص القرآني دون تأمل وتفكر في معانيه فقد حثنا الله على التدبر في كتابه في مواطن كثيره منها في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، فهو المفتاح الذي يكشف لنا الله به عن هدايته وتوجيهاته، والالتزام بأوامره والنهي عن زواجره، وبه يتوصل الإنسان إلى الحق والصواب لإظهار مكنونات النص وكنوزه ، فقد اجتهد المسلمون منذ عصر النبي محمد ﷺ إلى يومنا هذا في فهم القرآن والعمل به والتدبر والتفسير والتوضيح والاستخراج والاستنتاج والتدقيق والتحقيق والتمعن والاخذ والبناء والتشريع وغيرها من مفاهيم متصلة بكتاب الله عزّ وجل ومنها التفسير وعلوم القرآن وتاريخ القرآن وما تطور وازداد حول هذه المفاهيم الكبرى المتصلة بكتاب الله عزّ وجل.

ولا تخفى أهمية هذا الموضوع على كل من كتب في علوم القرآن أو اطلع ووقف على هذا المجال أو خاض فيه فقد وردت كلمة التدبر في القرآن عدة مرات وفي صيغ مختلفة وهذا دليل على أهميته وعظيم شأنه، وجليل قدره ومنزلته، اذ قال تعالى في كتابه الكريم ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وقد انكر على من لا يتدبر به بقوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فهذه الآية وغيرها تمثل دعوة صريحة للامتثال لأمر الله جل وعلا في التأمل والتفكر في آياته ومعانيه، اذ يمثل التدبر الطريق الأمثل لتعقل معاني القرآن والاعتبار بأمثاله وزواجره، والتأدب بآدابه، والامتثال لأوامره والاتعاظ بمواعظه، كما وان التدبر قد تعلق بشكل كبير بشخصية المتدبر ومنهجه فمن البديهي لكل متدبر ان يفهم معاني كلام الله العميقة وفق المنهج والاتجاه الذي ينتمي إليه.

وبناء على ما تقدم حاولتُ في هذا البحث الإجابة عن عدد من الأسئلة التي مثلت مشكلة البحث لدي، ومفاد هذه الاسئلة:

- ماهي أهمية التدبر وضرورته؟
- هل ان للتدبر مستوى واحد شامل لجميع الأفراد ام له مستويات عدة؟
- وهل ان الاتجاه العقدي والفقهي والاجتماعي لدى المفسر له الأثر في توجيه النص

القرآني والتدبر فيه.

- كيف تدبر العلامة الطباطبائي في كتابه "الميزان" وهل كان متعصباً لمذهبه؟

تلك الأسئلة وغيرها حاولتُ الإجابة عنها متبعة في طريقة الإجابة أسلوباً تحليلياً.

أما منهج البحث للطالب في دراسته هو المنهج التاريخي التحليلي وتخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من مصادرها، وقد استعان الباحث بمجموعة من أمهات الكتب في اللغة وعلوم القرآن والتفاسير والمعاجم وغيرها ،

أما خطة البحث: فانتظم البحث بتمهيد وثلاثة مطالب: فتناول في التمهيد التعريف بمفردات العنوان وبيان ضرورة التدبر وأهميته وبيان العلاقة بين التدبر والتفسير والمطلب الأول: تضمن نبذه مختصره عن حياة السيد الطباطبائي قدس سره، والمطلب الثاني: تضمن القيمة العلمية لتفسيره (الميزان) والمطلب الثالث: تناول نماذج تدبرية للعلامة في تفسيره. ثم الخاتمة والنتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:ـ

ويشتمل على:

أولاً: التعريف بمفردات العنوان ومنها:

١- مفهوم الأثر:

لغةً: الهمزة والثاء والراء، وله ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي، والأثر بقية ما يرى من كل شيء وما لا يُرى بعد أن تبقى فيه علقَةُ[١].

اصطلاحاً: ((النتيجة، وهو الحاصل من الشيء))[٢].

٢- مفهوم المعرفة:

لغةً: قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ): ((العين والراء والفاء، واصلان صحيحان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة... تقول عرف فلان فلانا عرفاناً ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه لأن من أنكر شيئا توحش منه ونبا عنه))[٣].

اصطلاحاً: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تبارك وتعالى بالعالم دون العارف[٤]، وقد ذكر التهانوي[٥]: أن من معاني المعرفة: إدراك الشيء بإحدى الحواس، أو ((إدراك الكلي مفهوماً كان أو حكماً. ومنها إدراك المركب تصوراً كان أو تصديقاً))[٦].

٣- مفهوم التدبر:

لغةً: ((ذكر علماء اللغة ان التعريف الصحيح "للتدبر في القرآن" يقوم على اساس التعرف على المفهوم اللغوي لكلمة "التدبر" ،كما ان التعرف على المفهوم يحتاج إلى دراسة معنى "المادة" و"الهيئة" لهذه الكلمة في القرآن والمصادر اللغوية ايضاً، أي دراسة لمادة التدبر"د ب ر"وهيئته "تفعل"))[٧].

اصطلاحاً: قال الزجاج (ت٣١١هـ): ((ومعنى تدبرت الشيء، نظرت في عاقبته... والدبر النحل سمي دبراً لأنه يُعقب ما ينتفع به))[٨].

وقال الجرجاني(ت٤٧١هـ): ((ان التدبر هو عبارة عن النظر في عواقب الأمور. وهو قريب من التفكر. بيد ان التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل والتدبر تصرفه في العواقب))[٩].

إذ يبدوا ان هناك تعدد لفهم المفسرين لمعنى "التدبر" ولكن مع تعدده يقارب بعضه من بعض، إذ تؤكد تعاريفهم كلها على التأمل في معانيه والنظر والتبصّر في الآيات للوصول إلى المعنى الحقيقي المراد، فهو عند الزمخشري(ت٥٣٨هـ): ((تأمل معانيه، وتبصر ما فيه))[١٠].

وعند القرطبي(ت٦٧١هـ) ((التفكر فيه وفي معانيه))[١١]، وعند الخازن(ت٧٤١هـ): ((أصل التدبر النظر في عواقب الأمور والتفكر في أدبارها ثم أستعمل في كل تفكر وتأمل... ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات))[١٢].

وقد ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[١٣].

إن معنى التدبر: ((هو اخذ الشيء بعد الشيء، وهو في مورد الآية التأمل في الآية عقيب الآية أو التأمل بعد التأمل في الآية، لكن لما كان الغرض بيان أن القرآن لا اختلاف فيه، وذلك إنما يكون بين أزيد من آية واحدة، كان المعنى الأول أعني التأمل في الآية عقيب الآية

هو العمدة وإن كان ذلك لا ينفي المعنى الثاني أيضاً، فالمراد ترغيبهم أن يتدبروا في الآيات القرآنية، ويراجعوا في كل حكم نازل أو حكمة مبينة أو قصة أو عظة أو غير ذلك، جميع الآيات المرتبطة به مما نزلت مكيها ومدنيتها، ومحكمها ومتشابها، ويضموا البعض إلى البعض حتى يظهر لهم أنه لا اختلاف بينها، فالآيات يصدق قديمها حديثها، ويشهد بعضها على بعض، من غير أن يكون بينها اي اختلاف مفروض...والإنسان المتدبر فيه هذا التدبر يقضي بشعوره الحي وقضائه الجبلي ان المتكلم بهذا الكلام ليس، ممن يحكم فيه مرور الأيام والتحول والتكامل العاملان في الأكوان بل هو الله الواحد القهار))[١٤]، فقد توصل العلامة عند بيانه لمعنى الآية إلى ان التدبر مما يناله الفهم العادي، اضافة إلى ان الآيات يفسر بعضها البعض، وذلك لان الله تعالى دعاهم إلى التدبر في آي الكتاب في ضم بعضها للبعض الآخر.

ومن خلال مراجعة التعاريف الاصطلاحية توصل البحث على ان المقصود من معنى التدبر هو نفسه ما قاله محمد عبد الرؤوف المناووي في كتابه التوقيف على مهمات التعاريف اذ عرفه بقوله: ((التفكر باستخدام وسائل التفكير، والتساؤل المنطقي، للوصول إلى معانٍ جديدة يحتملها النص القرآني وفق قواعد اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها، وربط السور القرآنية ببعضها، وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك))[١٥].

٤- مفهوم التفسير:

لغةً: قال الراغب(ت٥٠٢هـ): الفسر، يستعمل في اظهار المعنى المعقول، كقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[١٦]، وقال فخر الدين الطريحي(ت٩٧٩هـ) هو كشف معنى اللفظ وإظهاره[١٧].

اصطلاحاً: قال أبو حيان(ت٧٤٥هـ): ((التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب))[١٨].

ثانياً: ضرورة التدبر وأهميته:

إن التدبر في القرآن باعتباره أحد النشاطات القرآنية، يتمتع بضرورة وأهمية خاصة من منظور القرآن، وأهل البيت وعلماء الدين، تبرز هذه الاهمية في أمور عدة، وكل أمر كاف وحده أن يكون داعية إلى تدبر القرآن، والتأمل في معانيه، والتأثر عند قراءته. ويمكن بيان

تلك الأهمية من خلال الوقوف على الآيات والروايات التي حثت على أهميته وضرورته.

الآيات الدالة على أهمية التدبر:

١- قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١٩]، والمعنى كتاب كثير الخير والبركة[٢٠]، بناء على ظاهر هذه الآية، فإن التدبر في القرآن مهمة عامة، لأن ضمير جمع الغائب في و "ليدبروا" يعود لجميع الناس، ومن جهة أخرى في هذه الآية يعتبر التدبر في القرآن هدف نزول القرآن، والدليل على ذلك هو تعلق " ليدبروا" بفعل " أنزلناه"، لأن "اللام» في "ليدبروا" للتعليل، ومعنى هذه الآية هو "انزلنا هذا الكتاب لكي يتدبروا فيه" فلا يشمل فئة دون اخرى.

إذًا فالتدبر مطلوب من غير المؤمنين؟! قد يكون هذا الكلام مستغربًا، أن الله يعاتب غير المؤمنين بترك التدبر، ولم يعاتب المؤمنين بذلك، ولعل أحد الأسرار - والله أعلم - أن المؤمن أصلًا يقرأ بتدبُّر وبتمعُّن، فهو على يقين أن هذا الكتاب إنما أُنزل من أجل التدبر والتأمل في معانيه ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢١].

٢- قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾[٢٢].

٣- قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[٢٣].

ويبين الطوسي بركة القرآن على العبد الذي أقبل على كتاب ربه بأدب واعتبار فيقول: إن الذين يتلون كتاب الله يعني يقرؤون القرآن ويعملون بما فيه و واقاموا الصلاة وانفقوا في طاعة الله مما رزقهم الله وملكهم التصرف به في حال سرهم، وفي حال علانيتهم ويرجونه في موضع الحال أي راجين بذلك "تجارة لن تبور" أي لا تكسد، وقيل: لا تفسد ،اي انهم يقصدون بذلك أن يوفيهم الله أجر ما عملوا من الطاعات بالثواب ويزيدهم من فضله زيادة على قدر استحقاقهم، لأنه وعد بأن يعطي الواحد عشرة أضعاف[٢٤].

روايات التدبر:

فقد ورد في الكتب روايات كثيرة يدل مضمونها بشكل صريح على ضرورة وأهمية

التدبر منها: عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه: قال ((اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه))[٢٥]، وعن ابي عبد الرحمان السلمي قال: ((حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل))[٢٦].

وعن عثمان وابن مسعود وأُبي: ((ان رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً))[٢٧]، ففي الكافي بأسناده عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: ((آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزينة ينبغي لك أن تنظر ما فيها))[٢٨].

وفي رواية علي بن ابراهيم عن أبيه عن علي بن معبد عن واصل بن سليمان عن عبدالله بن سليمان قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((بينه تبياناً، ولا تهذه هذّ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة))[٢٩].

ثالثاً: العلاقة بين التدبر والتفسير: من خلال مراجعة التعاريف لكل من التدبر والتفسير توصل البحث إلى وجود علاقة كبيرة بين كلاً منهما، فمن خلال البحث وجد الباحث قولاً لأحد الباحثين محاولاً بيان فرق كبير بين التفسير والتدبر بقوله: لا بد من بيان أن التدبر هو غير التفسير، وهذا أمر مهم، لأن هناك من المعاصرين من استعمل التدبر على سبيل المرادفة للتفسير، وهو غير صحيح فالتفسير: من الفسر وهو: الكشف والبيان، وشرح للمعنى، ولذلك سمي بيان كتاب الله تفسيراً، لأنه يكشف اللثام عن معانيه اللغوية والسياقية والشرعية، باستعمال قواعد التفسير المعروفة عند أهله، وهذا هو علم التفسير.

وبينما التدبر اتعاظ بالمعنى، واعتبار به وتذكر، وبينهما فرق، فالتدبر إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها، واعتقاد ما دلت عليه وامتثاله[٣٠].

ولكن من وجهة نظر البحث لا يمكن اعتبار هذا الفرق لأن التدبر هو أساس التفسير فكيف يتدبر القرآن ويستكشف ما فيه و معرفة مضامينه واسراره الكامنة دون الرجوع إلى قواعد التفسير من معرفة اللغة والروايات وأسباب النزول وغيرها.

قال الطبرسي(ت٥٦٠هـ): عن النبي ﷺ في احتجاجه يوم الغدير: حيث قال: ((معاشر الناس! تدبروا القرآن، وافهموا آياته ومحكماته، ولا تتبعوا متشابهه، فو الله هو مبين لكم نوراً واحداً و لا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آتي بيده))[٣١]، وبهذا الصدد ذكر الحر العاملي(ت١١٠٤هـ): ((في هذه الرواية أستخدم التفسير في مقابل التدبر وفهم الآيات، كما نسب التدبر والفهم لجميع الناس، حيث أمر الرسول ﷺ جميع الناس بالتدبر وفهم آيات القرآن، لكنه أوكل التفسير للإمام علي عليه السلام إلا الذي انا آخذ بيده))[٣٢].

قال الهي حسين زاده في رسالته: يمكن تلخيص الفرق بين التدبر والتفسير بما يلي:

١- يوجد هناك علاقة بين التدبر والتفسير فالتدبر هو غاية لأنه باعث على الامتثال والعمل، بينما التفسير فهو وسيلة للتدبر.

٢- تدبر القرآن هو اول مستوى لفهم النص القرآني، بينما التفسير هو التأمل والتعمق في مستويات النص القرآني.

٣- التدبر يشير إلى الفهم الكلي بينما التفسير يشير إلى الفهم الكلي والفهم الجزئي.

٤- في التدبر، كتاب الله هو المعلم والإنسان مستمع، ولكن في التفسير للمفسر دور فعال في الوصول إلى المعنى المراد.

٥- تعتبر منزلة التدبر أعلى من منزلة التفسير[٣٣].

المطلب الأول: نبذة مختصره عن حياة السيد الطباطبائي

السيد محمد حسين الطباطبائي، المعروف بالعلامة الطباطبائي(١٣٢١-١٤٠٢هـ)، مفسّر، ومتكلم، وفقيه، وأصولي، وعارف من كبار علماء الشيعة في القرن الرابع عشر الهجري الذي ترك بصمات واضحة على الساحة العلمية والفكرية في إيران وفي العالم الإسلامي أجمع.

أولاً: ولادته ونسبه:

ولد العلامة الطباطبائي في أواخر ذي الحجة سنة (١٣٢١ق) هجري شمسي في منطقة "شاد آباد" إحدى توابع محافظة تبريز الإيرانية، ثم ارتحل منها إلى النجف الأشرف للتحصيل ومكث هناك إلى سنة (١٣٥٤)، ثم رجع إلى تبريز وعاش فيه إلى سنة (١٣٦٥) ثم ارتحل إلى

بلده قم[٣٤] وقد اشتهرت أسرته بالفضل والعلم وبتصديها للشؤون الدينية والاجتماعية، اذ تنتهي سلسلة نسب العلامة الطباطبائي من جهة الأب إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن طريق إبراهيم بن إسماعيل الديباج[٣٥]، حيث اشتهرت أسرته منذ القدم بالفضل والعلم والرياسة، وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشر الماضين من العلماء المعروفين فيها[٣٦].

ثانياً: مكانته العلمية:

اتصف السيد الطباطبائي منذ صغره بالفطنة والذكاء، فظهرت عليه ملامح النبوغ منذ نعومة أظافره، فكان محباً للعلم والمعرفة والحكمة، اذ نجده يقول: ((وطالما قضيت الليل في القراءة خاصة في فصلي: الربيع والصيف حتى تطلع الشمس وأنا مشغول بالمطالعة، وكم معضلة حلت لي خلال مطالعاتي وكنت أقرأ درس الغد قبل مجيء يومه فلا تبقى لي مشكلة عندما أواجه الأستاذ))[٣٧]، حيث قال عنه الطهراني: ((قد بلغ أستاذنا العلامة الطباطبائي مبلغ الكمال في العناصر الثلاثة جميعاً، بل حاز بين الأقران على المرتبة الأولى. فمن جهة كمال القوة العقلية والحكمة النظرية، ثمّ اتفاق على ذلك بين الصديق والعدو، وقد كان في ذلك ممن لا نظير له في العالم الإسلامي، وأما من جهة كمال القوة العلمية والحكمة العلمية والسير الباطني في المدارج ومعارج عوالم الغيب والملكوت، والبلوغ إلى درجات المقربين والصديقين، فقد كان صمته عن ذلك وسكوته عنه، وإطباق شفتيه عليه حتى في حياته، مما لا يسمح لنا أن نكشف الستار عن أكثر من ذلك في هذه المرحلة، لا سيما وأنّه كان يعتبر كتمان السر من أعظم الفرائض وأما من جهة الشرع، فقد كان فقيهاً مشرعاً، بذل سعيه بتمام معنى الكلمة في رعاية السنن والآداب، ولم يكن يتوانى عن الالتزام بأداء أقل المستحبات، وكان ينظر بعين التعظيم والإجلال والتبجيل لأولياء الشرع المبين))[٣٨].

ثالثاً: مؤلفاته:

ترك السيد الطباطبائي تراثًا علمياً عظيماً، وقد تمثل في كتب ورسائل وأبحاث ومقالات علمية، نذكر شيء منها على نحو الايجاز منها: (الميزان في تفسير القرآن "ويقع في ٢٠ مجلداً"، رسالة في المبدأ والمعاد، سنن النبي صلى الله عليه وآله الشيعة في الإسلام، القرآن في الإسلام، بداية الحكمة، نهاية الحكمة، رسالة محمد صلى الله عليه وآله في المنهج الإسلامي، وغيرها من الكتب والمؤلفات)[٣٩].

رابعاً: وفاته:

توفي السيد الطباطبائي في شهر تشرين الثاني من سنة(١٩٨١م) في مدينة قم المقدسة

وأعلن الحداد الرسمي من قبل الدولة والشعب على حد سواء، وشُيع تشيعاً مهيباً، وَورِي جثمانه بجنب قبر السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام[١].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي:

يعتبر هذا التفسير واحداً من أشهر وأهمّ كتب التفسير المعاصرة عند الشيعة، بل يُعد هذا التفسير دائرة معارف قرآنية فيما اشتمل عليه من بحوث ودراسات مختلفة بحيث أضحى القرآن الكريم في هذا التفسير مصدراً تنبثق منه العقيدة والشريعة والمفاهيم والرؤى الإسلامية بمجموعها، اذ يقع الميزان في (٨٠٤١) ثمانية آلاف واحدى وأربعين صفحة، وقد طبع حتى الآن ثلاث مرات، وقد بدأ المفسر بألقائه محاضرات على طلابه في جامعة "قم" الدينية في ايران، ثم ألح عليه طلابه أن يجمع تلكم المحاضرات لتكون تفسيراً مفيداً، فاستجاب لطلبهم حتى صدر الجزء الأول من الميزان عام (١٣٧٥هـ-١٩٥٦م) وتوالت الاجزاء[٤٠].

فمن اهم ما امتاز به السيد الطباطبائي في تفسيره هو التبحر العميق في الأصول العقلية، فقد ترشح ذلك في تفسيره للآيات فقد استفاد من تلك الأسس العقلية البينة أو المبينة، فكان يفسر الآية على أن لا تكون مخالفة لأي دليل عقلي قطعي، لأن أي احتمال يناقض الموازين القطعية العقلية باطل في ذاته وأن وجود أي تناقض بين العقل والوحي عنده مرفوض، لأنه لا يمكن أن يكون بين الحجتان الإلهيتان تباين واختلاف، فالعقل مصباح منير والوحي صراط مستقيم ولا يمكن الاستفادة من أحدهما دون الآخر[٤١]، ومن المزايا فيه ايضاً اشتماله على بحوث إضافية، فمنها الروائية والاجتماعية والتاريخية، والكلامية، والفلسفية، والعلمية وغيرها كما يعد هذا التفسير من اهم التفاسير التي ناصرت ودافعت عن فكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبيان حقيقة التشيع ومعتقداته، وأصوله وفروعه، ببيان دقيق وعميق، من خلال بيان تفسير الآيات والسنة الشريفة، من كتب المدرستين، من دون أن يثير حفيظة احد على الآخر[٤٢].

ومما قاله في بيان منهجه: ((نفسر القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخّص المصاديق، ونتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٤٣]، وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه وقال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[٤٤]،

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٤٥]، وكيف يكون القرآن هدى وبينة وفرقاناً ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون، ولا يكفيهم في احتياجهم إليه، وهو أشد الاحتياج؟ وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٤٦]، وأي جهاد أعظم من بذل الجهد في فهم كتابه، وأي سبيل أهدى إليه من القرآن))[٤٧]، ومن مميزات هذا التفسير ايضاً، الجمع بين نمطي التفسير: الموضوعي والترتيبي، وتفسير القرآن آية فآية وسورة فسورة، إضافة إلى الجمع بين الآيات المتناسقة بعضها مع بعض، لبحث الموضوع المشترك بينها، كذلك العناية التامة بالوحدة الموضوعية السائدة في القرآن، فلكل سورة هدف أو أهداف معينة، فهي التي تشكل بنيان السورة يضاف إلى ذلك "الوحدة الكلية" التي تحكم القرآن كله، فهو يشتمل على روح كلية تسري في جميع آياته وسوره، وتشكل حقيقة القرآن الأصلية هذا بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً من الاستعانة بمنهج "تفسير القرآن بالقرآن" الذي اعتمده صاحب الميزان العلامة الطباطبائي، بحيث أنّه كان يرى أن غير القرآن لا يصلح لتفسير القرآن وكيف يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه[١].

المطلب الثالث: نماذج تدبرية للعلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان:

أولاً: تدبره في آيات العقائد:

١- **تدبره في آيات الصفات:** قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٤٨]، حيث قال في تدبره فيها:

((ومن هنا قضينا أن صفاته تعالى عين ذاته، وكل صفة عين الصفة الأخرى، فلا تمايز إلا بحسب المفهوم، ولو كان علمه غير قدرته مثلاً، وكل منهما غير ذاته كما فينا معاشر الإنسان مثلاً لكان كل منها يحد الآخر والآخر ينتهي إليه فكان محدود وحد ومتناه ونهاية فكان تركيب وفقر إلى حاد يحدها غيره، تعالى عن ذلك وتقدس، وهذه صفة أحديته تعالى لا ينقسم من جهة من الجهات، ولا يتكثر في خارج ولا في ذهن، ومما تقدم يظهر فساد قول من قال: إن معاني صفاته تعالى ترجع إلى النفي رعاية لتنزيهه عن صفات خلقه فمعنى العلم والقدرة والحياة هناك عدم الجهل والعجز والموت، وكذا في سائر الصفات العليا، وذلك لاستلزامه نفي جميع صفات الكمال عنه تعالى، وقد عرفت أن سلوكنا الفطري يدفع ذلك، وظواهر الآيات الكريمة تنافيه، ونظيره القول بكون صفاته زائدة على ذاته أو نفي

الصفات وإثبات آثارها وغير ذلك مما قيل في الصفات فكل ذلك مدفوعة بما تقدم من كيفية سلوكنا الفطري))[٤٩]، فقد تدبر فيها العلامة بما يتناسب مع مذهبه الشيعي القائل بأن صفاته عز وجل عين ذاته.

٢-تدبره في مسألة الشفاعة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥٠]، حيث تدبر العلامة في معنى التوبة بقوله: ((التوبة هي الرجوع، والرجوع يختلف بحسب اختلاف مورده فكما يجوز للعبد المتمرد على امر سيده وإرادته أن يتوب إليه فيرد إليه مقامه الزائل من القرب عنده كذلك يجوز للمريض الذي نهاه الطبيب نهياً إرشادياً عن أكل شيء معين من الفواكه والمأكولات، وإنما كان ذلك مراعاة لجانب سلامته وعافيته فلم ينته المريض عن نهيه فاقترفه فتضرر فأشرف على الهلاك فيجوز ان يتوب إلى الطبيب ليشير إليه بدواء يعيده إلى سابق حاله وعافيته، فيذكر له أن ذلك محتاج إلى تحمل التعب والمشقة والعناء والرياضة خلال مدة حتى يعود إلى سلامة المزاج الأولية))[٥١]، اذ نجد العلامة قد ربط الآية بمثال رائع من واقع الحياة الاجتماعية عند تدبره فيها، وبيان عدم صحة من قال بأن الله خالق أفعال العباد ومعذبهم عليها.

أما فيما يخص قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[٥٢]، اذ نجده يقول: في مثل هذه الحالة لا حاجة للشفاعة، بل المقصود الارتضاء في الدين أي أنّ من يرتضى منه دينه و عقيدته و منهجه في مقابل التقييد بالارتضاء في العمل الذي ليس مقصوداً بالطبع، لأنّ الشفاعة مختصّة بأهل المعاصي، أي بأهل الكبائر لأنّ الذي يجتنب الكبائر، يحصل بهذا الاجتناب على تكفير لذنوبه الصغيرة و هنا لن تبغي معصية لتكون مورد الشفاعة ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾[٥٣]، فمن كان له ذنب باق إلى يوم القيامة فهو لامحالة من أهل الكبائر، إذ لو كان الذنب من الصغائر فقط لكان مكفراً عنه، فقد بان أن الشفاعة لأهل الكبائر من أصحاب اليمين[٥٤] عن رسول الله ﷺ قال: "إنما شَفاعَتِي لأهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ امَّتِي"[٥٥]، فَأَمَّا المُحسِنُونَ فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ))[٥٦].

٣- تدبره في الآيات الدالة على المعاد: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[٥٧]، حيث قال في تدبره فيها فطي السماء على هذا رجوعها إلى خزائن الغيب بعد ما نزلت منها وقدرت... وإن قوله: "كما بدأنا أول خلق نعيده" ناظر إلى رجوع كل شيء إلى حاله التي كان عليها حين ابتدئ خلقه وهي أنه لم يكن شيئا مذكورا كما قال تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا[٥٨] ثم نجد يقول: ((وهذا معنى ما نسب إلى ابن عباس أن معنى الآية يهلك كل شيء كما كان أول مرة وهو وإن كان مناسبا للاتصال بقوله يوم نطوى السماء الخ... ليقع في مقام التعليل له لكن الأغلب على سياق الآيات السابقة بيان الإعادة بمعنى إرجاع الأشياء بعد فنائها لا الإعادة بمعنى إفناء الأشياء وإرجاعها إلى حالها قبل ظهورها بالوجود))[٥٩]، اذ يبدوا ان العلامة قد استدل على معنى الآية من خلال السياق الواردة فيه.

٤- تدبره في الآيات الدالة على الامامة: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٦٠]، اختلف العلماء في تحديد المعنى المقصود من الامامة الوارد في الآية فمنهم من قال: ان المراد من الإمامة هنا النبوة أو الرسالة وهذا ما ذهب إليه جمهور المفسرين من السنة، ومنهم من قال انها بمعنى القدوة والأسوة، وفسره آخرون بمعنى الخلافة أو الوصاية، أو الرئاسة في امور الدين والدنيا ومنهم من قال: أن يكون المراد من الإمامة هي الإمامة التكوينية المرتبطة بعالم "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" غير ان الطباطبائي كان له رأي مختلف في تدبره للآية اذ قال: ولامعنى لأن يقال لنبي من الأنبياء مفترض الطاعة إني جاعلك للناس نبياً أو مطاعاً فيما تبلغه بنبوتك، أو رئيساً تأمر وتنهى في الدين، أو وصياً، أو خليفة في الأرض تقضي بين الناس في مرافعاتهم بحكم الله لأن هذا من تحصيل الحاصل... وان المقصد من الامامة هنا: هي الإمامة التكوينية، الملكوتية، الباطنية، التي لا علاقة لها بعالم التشريع والإمامة السياسية[٦١].

٥- تدبره في آيات العصمة: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْغَالِبُونَ﴾[٦٢]، قد اختلف المفسرون في بيان مفهوم الولاية فمنهم من قال ان معناها هو: قصر الولاية في الله سبحانه ورسوله والمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، وهؤلاء هم المؤمنون حقا فيخرج بذلك المنافقون والذين في قلوبهم مرض، ويبقى على وجوب الولاية المؤمنون حقا، وقد اعتمد أصحاب هذا الرأي على سياق الآية حيث انها جاءت بين آيات تنهى عن ولاية أهل الكتاب والكفار[٦٣]، وقد رد عليهم العلامة بقوله: ((لكن التدبر واستيفاء النظر في الآيتين وما يحفهما من آيات ثم في أمر السورة يعطي خلاف ما ذكروه، وأول ما يفسد من كلامهم ما ذكروه من أمر وحدة سياق الآيات، وأن غرض الآيات التعرض لأمر ولاية النصرة، وتمييز الحق منها من غير الحق فإن السورة وإن كان من المسلم نزولها في آخر عهد رسول الله ﷺ في حجة الوداع لكن من المسلم أيضاً أن جميع آياتها لم تنزل دفعة واحدة فمنها آيات لا شبهة في نزولها قبل ذلك، ومضامينها تشهد بذلك، وما ورد فيها من أسباب النزول يؤيده فليس مجرد وقوع الآية بعد الآية أو قبل الآية يدل على وحدة السياق، ولا أن بعض المناسبة بين آية وآية يدل على نزولهما معاً دفعة واحدة أو اتحادهما في السياق))[٦٤].

ثم بين السيد الطباطبائي معنى الولاية الوارد في الآية بقوله: ((أن المراد بما نسب إلى النبي ﷺ من الولاية في القرآن هو ولاية التصرف أو الحب و المودة كقوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[٦٦]، فإن الخطاب للمؤمنين، ولا معنى لعد النبي ﷺ ولياً لهم ولاية النصرة كما عرفت[٦٧]... ثم نجده يقول: على أن الروايات متكاثرة من طرق الشيعة وأهل السنة على أن الآيتين نازلتان في أمير المؤمنين علي عليه السلام لما تصدق بخاتمه وهو في الصلاة، فالآيتان خاصتان غير عامتين... ولو صح الإعراض في تفسير آية بالأسباب المأثورة عن مثل هذه الروايات على تكاثرها وتراكمها لم يصح الركون إلى شيء من أسباب النزول المأثورة في شيء من آيات القرآن وهو ظاهر، فلا وجه لحمل الآيتين على إرادة ولاية المؤمنين بعضهم لبعض بجعلها عامة[٦٨]، فقد استدل العلامة في تدبره للنص على ما ورد فيه من روايات.

٦- تدبره في الآيات التي تبين فضائل اهل البيت عليهم السلام: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٦٩]، فقد اختلف العلماء في تحديد معنى الآية فيما خص من هم المطهرون؟ فالبعض نسب هذا القول إلى النبي وزوجاته وهذا قول نُسب إلى عكرمة وعروة، غير ان السيد الطباطبائي كان له رأي مختلف إذ قال: أن الآية نزلت في النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم، وهي روايات جمة تزيد على سبعين حديثا يربو ما ورد منها من طرق أهل السنة على ما ورد منها من طرق الشيعة فقد روتها أهل السنة بطرق كثيرة عن أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وسعد ووائلة بن الأسقع وأبي الحمراء وابن عباس و ثوبان مولى النبي وعبد الله بن جعفر وعلي والحسن بن علي عليهما السلام في قريب من أربعين طريقا وروتها الشيعة عن علي والسجاد والباقر والصادق والرضا عليهم السلام وأم سلمة وأبي ذر وأبي ليلى وأبي الأسود الدؤلي وعمرو بن ميمون الأودي وسعد بن أبي وقاص في بضع و ثلاثين طريقا، فإن قيل: إن الروايات إنما تدل على شمول الآية لعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام ولا ينافي ذلك شمولها لأزواج النبي ﷺ كما يفيده وقوع الآية في سياق خطابهن قلنا: إن كثيرا من هذه الروايات وخاصة ما رويت عن أم سلمة وفي بيتها نزلت الآية تصرح باختصاصها بهم وعدم شمولها لأزواج النبي[٧٠] حيث استدل العلامة في تدبره في الآية على عصمة وطهارة الأئمة عليهم السلام من جميع الارجاس الظاهرة منها والباطنة.

٧- **تدبره في الآيات التي تبين كيفية الوحي:** قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٧١]، اذ نجده يقول: و تدلّ هذه الآية بوضوح على أنّ القرآن عند ما كان ينزل بطريق الوحي، فإنّ ذلك كان يتمّ من قبل الله الحقّ المتعال بدون واسطة على الرسول الأكرم دون وجود جبرائيل أمّا حين كان ينزل جبرائيل، فإنّ تجلّي الحقّ لم يكن بدون واسطة، هذه المسألة واضحة جداً، لأنّ الأمر جاء بصورة الحصر المطلق الدائر بين النفي والإثبات ﴿إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾، فكلّ ما يكون بتوسّط جبرائيل أو أعوانه لا يكون وحياً...[٧٢] وبعد بيان مفصل للعلامة بشأن الآيات التي ورد فيها كيفية الوحي نجده يقول: أجل، فظاهر هذه الآيات يدلّ على أنّ جبرائيل هو الذي

أنزل كلّ القرآن، ولأجل الوصول إلى حقيقة المطلب والجمع بين آيات القرآن فكّرتُ بطريقة ما ولست أدري هل ستؤدّي المعنى أم لا، وهي بأن نقول: إنَّ كيفيّة نزول الوحي لها ثلاث مراحل: **المرحلة الأولى** وهي نزول الوحي مِن الله سبحانه وتعالى بلا واسطة، **المرحلة الثانية:** وهي أدنى من الأولى، حيث تكون من جانب الله سبحانه، ولكن بواسطة جبرائيل الذي يكون حاضراً، وعن طريقة يوحي الله سبحانه وتعالى، **المرحلة الثالثة** وهي أدنى من سابقتيها، حيث يكون الوحي من جانب جبرائيل، ولكن بواسطة أعوانه، فالله يوحي عبر جبرائيل، وجبرائيل عبر وسائطه وأعوانه، وفي هذه المرحلة يكون الله سبحانه حاضراً وجبرائيل وأعوانه كذلك(٧٣).

الخاتمة والنتائج:

في الختام اضع بين يديكم خلاصة عن موضوع بحثي الذي بعنوان: أثر المعرفة التدبرية في تفسير القرآن الكريم" كتاب تفسير الميزان أنموذجاً" المختص بالتدبر والتفسير بشكل عام مع اخذ نموذج عن تلك التفسيرات وهو تفسير الميزان.

فمن الضروري جداً على كل من يعمل في مجال التفسير وعلوم القرآن بتعدد انواعها ان يكون على علم كامل واطلاع دائم ومعرفة واسعة في النص القرآني والروايات الصادرة عن النبي وآل بيته (عليهم افضل الصلاة والسلام) لان التفسير والتدبر له اهله ومعلميه الذين لابد من ان يكونوا هم المرشدين إلى الطريق.

فالمتدبر والمفسر يسلكان في طريق سلك فيه الكبار والعظماء ممن حملوا لنا هذا الارث الكبير والثقيل في حجمة وعظمته، وعليه لابد ان يكون بقدر المسؤولية من يقوم بهذا العمل ويخوض فيه فالتدبر باب واسع من الفهم والخبرة والاطلاع والبحث والدراسة والتمعن لينتقل صاحبة إلى ضياء الحقيقة أو يقرب منها بحسب قدراته وطاقته واستيعابه ومن هؤلاء العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

وعليه ادرج مجموعة من النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث وهي كما يلي:

أولاً: ان للتدبر تعاريف عدة ولكن جميعها تجتمع في نقطة واحدة وهي "التأمل والتفكر في معاني النص القرآني".

ثانياً: ان دعوى التدبر قائمة إلى يومنا هذا والى الغد القريب والبعيد لأن التدبر في القرآن والتفكير في معانيه، أمر يحكم به العقل لأنه نظام الهي وهذا ما أكدته كثير من الآيات والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي حثت على ضرورته وأهميته.

ثالثاً: بعد الدراسة تم التوصل من خلال البحث إلى ان القرآن خطاب الهي موجه إلى البشرية جميعها، بلغة عربية فصيحة، وبالاعتماد على العنصر اللغوي وأدوات علمية أخرى نستطيع من خلالها فهم القرآن وعليه يرى البحث ان هناك ثلاث مستويات للتدبر: المستوى الأول: هو المستوى الخاص بأهل البيت عليهم السلام كونهم القرآن الناطق وهذا المستوى يشمل ظاهر النص وباطنه؛ والمستوى الثاني: هو مستوى العلماء الذين وصلوا إلى درجة الاجتهاد في استنباط الاحكام؛ والمستوى الثالث: هو تدبر الشخص العادي على مستوى الادراك الفردي وهذا ايضاً يحتاج إلى قواعد وأسس وآداب للتدبر.

رابعاً: ان للاتجاه الذي ينتمي إليه المتدبر دور مهم في تفسيره للنص القرآني، فلكل مفسر مذهب واتجاه قد انعكس على النص فقد اعتمد العلامة في تدبره وتفسيره لآيات الصفات على العقل والنقل معاً لذلك فسرها تفسيراً يتلائم مع ما جاء به مذهبه الامامي الذي يتمثل ب تنزيه الله عز وجل عن المادية والجسمانية ففي تفسيره لليد نجده قد فسرها بمعنى القوة والقدرة ولم يفسرها باليد المادية الجارحة.

خامساً: قد تدبر العلامة في تفسير آيات العصمة على العقل وفق ما تبناه المذهب الامامي من عصمة الأنبياء من الذنوب صغيرها وكبيرها قبل البعثة وبعد البعثة وعلل صدور الذنب الوارد في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾: بقوله ان معنى الغي خلاف الرشد الذي هو بمعنى إصابة الواقع وهو غير الضلال الذي هو الخروج من الطريق، ومعصية آدم ربه إنما هي معصية أمر إرشادي لا مولوي، أي أن آدم لم يرتكب المعصية، بل بدر منه ترك الأولى.

أما عند تدبره في الآيات التي تبين فضائل أهل البيت عليهم السلام اذ نجده قد استدل في آية التطهير على عصمة اهل البيت من الذنوب صغيرها وكبيرها من خلال سبب نزول

الآية وعلى ما ورد من روايات جاءت بطرق مختلفة من قبل اهل السنه والشيعة الامامية. وهذا ان دل على شيء انما يدل على الإتجاه العقائدي الإمامي الذي تبناه العلامة الطباطبائي قدس سره عند تدبره للنص القرآني.

هوامش البحث

(١) ظ: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: محمد مرتضى، تحقيق: ضاحي بن عبد الباقي بن محمد ، ط١. الكويت،١٤٢٢هـ، ١٢/١٠. مادة أثر؛ ظ: مقاييس اللغة. ابن فارس: احمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام بن محمد هارون، د.ط، دار الفكر ، د.ت، ٥٣/١. مادة أثر.

(٢) التعريفات. الجرجاني: الشريف علي بن محمد (ت:٨١٦هـ)، تح: إبراهيم الأبياري، د.ط دار الريان للتراث، د.ت. ،١١.

(٣) معجم مقاييس اللغة. ابن فارس: أبي الحسين أحمد (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، د.ت، ٢٨١/٤.

(٤) التعريفات ، الجرجاني، ٢٨٣.

(٥) هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي، الحنفي، التهانوي، باحث هندي له" كشاف اصطلاحات الفنون" وسبق الغايات في نسق الآيات، توفي سنة ١١٥٨هـ، ظ: الاعلام. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت ١٣٩٦ هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين، أيار/مايو٢٠٠٢م، ٢٩٥/٦.

(٦) كشاف اصطلاح الفنون. محمد التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م، ١٧٣/١.

(٧) رسالة التدبر الترتيبي. محمد حسين الهي زاده، د.ط. مشهد، المؤسسة الثقافية للتدبر في القرآن والسيرة، ٢٠١٤م، ١٣.

(٨) معاني القرآن واعرابه. الزجاج : أبو إسحاق إبراهيم بن سهل (ت:٣١١هـ)، تح :عبد الجليل عبده شلبي، ط١.بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. ، ٨٢/٢.

(٩) التعريفات. للجرجاني، ٧٦.

(١٠) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمروا (ت٥٣٨هـ)، ط٣.القاهرة ، دار الريان،١٤٠٧ه-١٩٨٧م، ٥٤٠/١.

(١١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن. القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ٤٧٦/٦.

(١٢) لباب التأويل في معاني التنزيل. ابن الخازن: علاء الدين علي بن محمد البغدادي (ت:٧٢٥هـ)،ط١. بيروت-لبنان :دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ٤٠٢/١.

(١٣) سورة النساء: آية ٨٢.

(١٤) تفسير الميزان. الطباطبائي: محمد حسين (ت١٤١٢هـ)، د.ط، قم ،منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ت، ١٩/٥-٢٠.

(١٥) التوقيف على مهمات التعاريف. المناوي: محمد عبد الرؤوف ، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، ط١. بيروت-دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ، ١/ ١٦٧.

(١٦) سورة الفرقان: آية ٣٣.

(١٧) مجمع البحرين. الطريحي: فخر الدين (ت١٠٥٨هـ)، تحقيق: احمد الحسيني، ط٢ : مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ٤٣٨/٣.

(١٨) تفسير البحر المحيط. ابو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل،د. ط.بيروت-لبنان : دار الفكر،١٤٢٠هـ، ٢٦/١.

(١٩) سورة ص: آية ٢٩.

(٢٠) ظ: فتح القدير. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)، ط١.بيروت-دمشق: دار ابن كثير،دار الكلم الطيب،١٤١٤هـ، ٤٩٤/٤.

(٢١) سورة ص: آية ٢٨.

(٢٢) سورة الانعام: آية ١٠٤.

(٢٣) سورة فاطر: آية ٢٩.

(٢٤) ظ: التبيان في تفسير القرآن.الطوسي :أبو جعفر محمد بن حسن (ت٤٦٠هـ)، د.ط، بيروت، دار احياء التراث العربي،١٣١٤هـ، ٤٢٧/٨-٤٢٨.

(٢٥) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل.المحدث النوري: حسين النوري الطبرسي(ت١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط٣.بيروت: شبكة فكر، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ٣٧٢/٤.

(٢٦) بحار الأنوار. المجلسي: محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ)، د.ط، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ، باب ❖(فضل التدبر في القرآن)، ٢٨/١٩.

(٢٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٩/١.

(٢٨) التدبر في القرآن. محمد رضا الحسيني الشيرازي، ط١، القدس، ١٤٣٧هـ.ق، ٢٤/١.

(٢٩) شرح اصول الكافي. المازندراني: مولى محمد صالح (ت١٠٨١هـ)، ط١. بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢١هـ، ٤٤/١١.

(٣٠) ظ: الفرق بين التدبر والتفسير، فريد الانصاري، مجموعة مواقع مداد، مقالة نشرت بتاريخ: ٢٠١٥/٨/٣م، https://midad.com.

(٣١) الاحتجاج. الطبرسي: ابي منصور احمد بن علي،د.ط ،المكتبة الشيعية،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م ، ٧٥/١.
(٣٢) ظ: وسائل الشيعة. الحر العاملي: محمد بن حسن(ت١١٠٤هـ)، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث،١٤١٤هـ، ١٩٤/٢٧.
(٣٣) ظ : التدبر الترتيبي. حسين الهي زاده، ٣٦.
(٣٤) ظ: الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان. علي الاوسي،ط١، معاونية الرئاسة للعلاقات العامة، مطبعة سبهر-طهران،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٣٩.
(٣٥) المصدر نفسه، ٤٤.
(٣٦) المصدر نفسه، ٤٥.
(٣٧) أعيان الشيعة. محسن الأمين، ٢٥٥/٩.
(٣٨) أصول التفسير والتأويل، مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، كمال الحيدري، ط٢. ايران :دار فرقد،٢٠٠٦م، ١١.
(٣٩) ظ: سلسلة أعلام المفسّرين (١)، سماحة آية الله محمد حسين الطباطبائي، العتبة الحسينية المقدسة، مقالة نشرت بتاريخ:٢٠٢٢/١/٧، https://imamhussain.org.
(٤٠) ظ: الطباطبائي ومنهجه في التفسير. علي الاوسي، ١١٤.
(٤١) ظ: تفسير الميزان السمات والخصائص، محفوظ حسين الزويد، مقالة نشرت بتاريخ :٢٠١٠/١/١٢ الساعة:١٦:١٧،https://www.taghribnews.com.
(٤٢) تفسير الميزان السمات والخصائص، محفوظ حسين الزويد، مقالة نشرت بتاريخ :٢٠١٠/١/١٢ الساعة:١٦:١٧،https://www.taghribnews.com.
(٤٣) سورة النحل: آية ٨٩.
(٤٤) سورة البقرة: آية ١٨٥.
(٤٥) سورة النساء: ١٧٤.
(٤٦) سورة العنكبوت: آية ٦٩.
(٤٧) الميزان. محمد حسين الطباطبائي، د.ت. قم : منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ط، ١١/١.
(٤٨) سورة الرعد: آية ١٦.
(٤٩) الميزان، ٣٥١/٨.
(٥٠) سورة الأعراف: آية ٢٣.
(٥١) الميزان، ١٣٨/١.
(٥٢) سورة الأنبياء: آية ٢٨.
(٥٣) سورة النجم: آية ٥٣.
(٥٤) ظ: الميزان، ١٦٥/١-١٧٠.

(٥٥) من لا يحضره الفقيه. الصدوق، ٥٧٤/٣؛ بحار الأنوار، المجلسي:٣٤/٨؛ ظ: ميزان الحكمة، محمد الريشهري،١٤٧٣/٢. رقم٢٠٤١.

(٥٦) ظ: المصدر نفسه، ٥٧٤/٣.

(٥٧) سورة الانبياء: آية ١٠٤.

(٥٨) ظ: الميزان، ٣٢٩/١٤.

(٥٩) المصدر نفسه، ٣٢٩/١٤.

(٦٠) سورة البقرة: آية ١٢٤.

(٦١) ظ، ٢٧٠/١-٢٧١.

(٦٢) سورة المائدة: آية ٥٥-٥٦.

(٦٣) ظ: الميزان، ٨/٦.

(٦٤) المصدر نفسه، ٨/٦.

(٦٥) سورة الاحزاب: آية ٦.

(٦٦) سورة المائدة: آية ٥٥.

(٦٧) ظ: المصدر نفسه ،٨/٦.

(٦٨) ظ: المصدر نفسه، ٨/٦

(٦٩) سورة الاحزاب: آية ٣٣.

(٧٠) ظ :الميزان، ١٦٢/١٦-١٦٣.

(٧١) سورة الشورى: آية ٥١.

(٧٢) ظ: الميزان، ٦٠/١٨-٦٢.

(٧٣) المصدر نفسه ، ٦٠/١٨-٦٢.

قائمة المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم.

٢-الاحتجاج. الطبرسي: ابي منصور احمد بن علي،د.ط ،المكتبة الشيعية،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٣- أصول التفسير والتأويل، مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، كمال الحيدري، ط٢. ايران:دار فرقد،٢٠٠٦م، ١١.

٤- اعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي (ت:١٣٧١هـ) د.ط. بيروت: مطبعة الأنصاف، ١٩٥٨هـ.

٥- الآمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق (ت:٣٨١هـ): تح: مؤسسة البعثة، ط١. قم،١٤١٧هـ.

٦- بحار الأنوار. المجلسي: محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ)، د.ط، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: محمد مرتضى، تحقيق: ضاحي بن عبد الباقي بن محمد، ط١. الكويت،١٤٢٢هـ، ١٢/١٠. مادة أثر؛ ظ: مقاييس اللغة. ابن فارس: احمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام بن محمد هارون، د.ط، دار الفكر ، د.ت.

٨- التبيان في تفسير القرآن.الطوسي: أبو جعفر محمد بن حسن(ت٤٦٠هـ)، د.ط، بيروت، دار احياء التراث العربي،١٣١٤هـ.

٩-التعريفات. الجرجاني: الشريف علي بن محمد (ت:٨١٦هـ)، تح: إبراهيم الأبياري، د.ط دار الريان للتراث، د.ت.

١٠- التدبر في القرآن. محمد رضا الحسيني الشيرازي، ط١، القدس، ١٤٣٧هـ.ق.

١١- تفسير البحر المحيط. ابو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل،د. ط.بيروت-لبنان: دار الفكر،١٤٢٠هـ.

١٢-تفسير الميزان.الطباطبائي: محمد حسين (ت١٤١٢هـ)، د.ط، قم ،منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ت.

١٣-التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الشيخ محمد هادي معرفة،ط٢، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، الناشر: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ١٤٢٦هـ.

١٤-التوقيف على مهمات التعاريف. المناوي: محمد عبد الرؤوف ، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، ط١. بيروت-دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ، ١/ ١٦٧.

١٥-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن. القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة،(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

١٦-رسالة التدبر الترتيبي. محمد حسين الهي زاده، د.ط. مشهد ،المؤسسة الثقافية للتدبر في القرآن والسيرة، ٢٠١٤م.

١٧-سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت:٢٧٩هـ): تح: محمد ناصر الالباني، ط١.الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

١٨- شرح اصول الكافي.المازندراني: مولى محمد صالح (ت١٠٨١هـ)، ط١. بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.

١٩-الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان، علي الاوسي، ط١، معاونية الرئاسة للعلاقات العامة، مطبعة سبهر-طهران،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٠- الاعلام. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت ١٣٩٦ هـ)، ط١٥، دار العلم للملايين، أيار/مايو٢٠٠٢م.

٢١- فتح القدير. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)، ط١.بيروت-دمشق: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب،١٤١٤هـ.

٢٢- كشاف اصطلاح الفنون. محمد التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.

٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٣. القاهرة: دار الريان للتراث، بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٤- لباب التأويل في معاني التنزيل. ابن الخازن: علاء الدين علي بن محمد البغدادي (ت:٧٢٥هـ)،ط١.بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٥- مجمع البحرين. الطريحي: فخر الدين (ت١٠٥٨هـ)، تحقيق: احمد الحسيني، ط٢: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

٢٦- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل. المحدث النوري: حسين النوري الطبرسي(ت١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط٣.بيروت: شبكة فكر، ١٤١١ه-١٩٩١م.

٢٧- معاني القرآن واعرابه. الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن سهل (ت:٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط١.بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٨- مقاييس اللغة. ابن فارس: احمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام بن محمد هارون، د.ط، دار الفكر، د.ت.

٢٩- مفاتيح الغيب، محمد فخر الدين بن ضياء الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، ط١.مصر: المطبعة البهية،١٣٥٧هـ.

٣٠- وسائل الشيعة. الحر العاملي: محمد بن حسن(ت١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث،١٤١٤هـ.

المقالات:

١-تفسير الميزان: السمات والخصائص، محفوظ حسين الزويد، مقالة نشرت بتاريخ ٢٠١٠/١/١٢ الساعة:١٦:١٧، https://www.taghribnews.com

٢- سلسلة أعلام المفسّرين (١): سماحة آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله)، العتبة الحسينية المقدسة، مقالة نشرت بتاريخ:٢٠٢٢/١/٧، https://imamhussain.org.

٣- الفرق بين التدبر والتفسير، فريد الانصاري، مجموعة مواقع مداد، مقالة نشرت بتاريخ:٢٠١٥/٨/٣م،https://midad.com.